## فرادة دور المسيحيين في بناء ثقافة السلام
## –مقترحات كاثوليكيّة وأرثوذكسيّة–

(أريزو، ٢٦ شباط ٢٠٠٠)

### مقدّمة

١– في هذا الزمن الحاضر، الذي نشهد فيه تحوّل العالم إلى ما يشبه قرية كونيّة، لا بدّ أن يكون كلّ واحد منّا على علم، إن لم نقلْ معنيّاً، بالحروب الصغيرة أو الكبيرة التي دارت وما زالت تدور على هذه الأرض. من جهة أخرى، يصعب أيضاً ألاّ ندرك كم هي كبيرة وخطيرة الترسانات الحربيّة النوويّة، التقليديّة والحديثة، التي يملكها اليوم عددٌ لا بأس به من الدول، هذا دون أن نذكر المبالغ الطائلة التي تُنْفَقُ من أجل إنتاجها، وصيانتها وتسويقها تجاريّاً، ما يحرم شعوب الدول الفقيرة من الحصول على وسائل التطوّر الضروريّة لنموّها. نكون عمياناً في حال رفضنا أن نرى عمق الهوّة التي تفصل اليوم بين الأغنياء والفقراء وبين المقتدرين والضعفاء من جهة، ومدى فداحة عمليّات انتهاك حقوق الإنسان لا بل حقوق شعوب بأكملها، التي تُفقد الإنسان إنسانيته وتشوّه صورته، من جهة أخرى. إنّ الظلم الاجتماعيّ وقمع حريّة الفكر كما الحريّات الشخصيّة والجماعيّة، ونكران حقّ كلّ شعب في تقرير مصيره، إضافة إلى احتلال الأراضي بالقوّة العسكريّة، كلّها عوامل خطيرة غالباً ما تثير الحروب والثورات العنيفة والدامية. فتدخل الشعوب في دوّامة جدليّة جهنميّة هي: الظلم الثورة القمع.

١٠١ لكنّ هذه الأسباب ليست إلا قلّة من عدد كبير لا يُحصى من العوامل المؤدّية إلى العنف، ولاسيّما العنف المسلّح، في العالم. ولا بدّ من ذكر بعض العوامل الأخرى التي يمكن وصفها باللاّعقلانيّة، وهي: المشاعر القوميّة المتطرّفة، كره الأجانب، العنصريّة، وكلّ أشكال رفض الآخر أو إنكار حقّه بالوجود والحياة الكريمة واحترام اختلافه وغَيْرِيَّتِه، إضافة إلى الصراعات بين أتباع الأديان المختلفة، والنزاعات الدينيّة الداخلية (بين أتباع الدين الواحد)، وإساءة التعامل مع الوعي التاريخي ودفعه بطريقة غير مباشرة إلى الثأر من هذه المعاملة؛ إضافة إلى العديد من العوامل غير العقلانيّة الكفيلة بإثارة مجموعة من الأشخاص – وغالباً شعوب بأكملها – إلى القيام بأعمال العنف الجنونيّة التي لا يمكن السيطرة عليها.

١ . ٢ لسوء الحظ، نجد العديد من المسيحيين لا يشعرون أنّهم معنيّون مباشرة بوجود هذه الأوضاع- على الأقلّ على مستوى الإيمان - كما أنّهم لا يسائلون أنفسهم حتّى حيال ذلك. هؤلاء يمكن تصنيفهم في فئتين: الفئة الأولى تهتمّ فقط بخلاص النفوس وتعتبر أنّه ليس على الكنيسة أن تلطّخ يديها بالسياسات الدنيويّة لأنّ كلّ ما يدخل في إطار الماديّات الدنيويّة هو انتقاليّ وفانٍ وسيحلّ محلّه في ملكوت الله العتيد ما هو روحانيّ وغير فان. الفئة الثانية غير مبالية حيال هذا النوع من الأزمات وتعتبر بالتالي أنه على المسؤولين السياسيين والحكومات إيجاد الحلول للنزاعات وأنّه على المسيحيين عدم الاهتمام بالسياسة. وهاتان الفئتان تلتقيان في إطار واحد أشبه ما يكون بالمونوفيزيّة المتطرّفة التي تحجب أو تنكر طبيعة المسيح البشريّة وبالتالي تجسّده.

## هل من لاهوت مسيحيّ حول السلام؟

٢. من الواضح أن الكنيسة عندما تتبنّى مسيرة أو خطة عمل تهدف إلى التربية والتثقيف من أجل سلام عادل يؤدّي إلى الحفاظ على الخليقة - وهذا ما تمحور حوله التجمّع المسكونيّ الأوروبيّ المنعقد في بازل - سويسرا، بين ١٥ و٢١ أيار ١٩٨٩، والذي لو تبنّت كلُّ الكنائس المشاركة فيه أعمالَه بجدّية، لكان جنّب أوروبا الكوارث التي عانت منها مؤخراً - فهي إنما تفعل ذلك لاهوتيّاً لا سياسيّاً. على الكنيسة أن تطوّر لاهوتاً خاصاً حول السلام ينبع من الكتاب المقدّس ومن التقليد الحيّ الذي تسلّمته من الآباء القدّسين والذي يتجدّد ويتأوّن باستمرار بواسطة الروح القدس الذي يعمل فيها.
هذا اللاّهوت المتجذّر في كلمة الله لا يمكنه أن يكون مجرّداً وفكريّاً وفارغاً من المعنى بالنسبة إلى رجال عالمنا ونسائه، بالنسبة إلى طبقة السياسيين، وبالنسبة إلى الحكومات. إنّ لاهوتاً كهذا لا يجب أن يحابي ويساير منطق الأقوى المسيطر على هذا العالم. ومن جهة أخرى لا يمكن أن يتّسم هذا اللاهوت بالنزعة الأخلاقيّة المجرّدة ويدين الخطأة مرسلاً إيّاهم إلى جهنّم ويبارك الطيّبين واعداً إيّاهم بالفردوس الأبديّ.
لكن ما هي خصوصيّة هذا اللاّهوت المسيحيّ المتعلّق بالسلام، والذي يحتّم على المسيحيين القيام بدور ما في إطار ثقافة السلام؟

١٠٢ أولاً يجب أن ننطلق من الواقع أنّ الكنيسة تلتزم التاريخ بشكل عميق. فهي تتفاعل مع ثقافة هذا العالم بحكم تجسّد سيّدها. لكنّها تضع نظاراتها الإسخاتولوجية عندما تقرأ التاريخ وتفسّر علامات الأزمنة وذلك بحكم قيامة سيّدها. فهي تضع نفسها "هناك" لا لكي تدين العالم بل لكي

تساعده على التجلي فيصبح كنيسة مستعدة لاستقبال عريسها. من هذا المنظار الإسخاتولوجي، تنشأ جدلية بين ما هو "حاصل منذ الآن" وما "لم يحصل بعد"، وهذه الجدلية معاشة بملئها في الإفخارستيا. في الواقع، كل مرة نتحلق فيها حول الأسقف في هذه الجماعة الإفخارستية فإننا نتذكر كافة الأحداث الخلاصية التي حصلت من أجلنا: الصليب، والقبر، والقيامة في اليوم الثالث، والصعود إلى السماء، والجلوس عن يمين الآب، والمجيء الثاني المجيد. عندما تتذكر الكنيسة مجيء الرب الثاني، فهي تعترف أنها "منذ الآن" في الملكوت وأنها "منذ الآن" تعيش ما ستصير إليه. للكنيسة إذا نوع من التذوق المسبق للملكوت. فإذا لم يعش المسيحيون كأشخاص قياميين، باطلة هي مطالبتهم بلعب دور خاص ومميز في مجتمعهم وادعاؤهم بأن لديهم قراءة فريدة لكل ما يتعلق بحياتهم اليومية. فلا شيء يعود يميزهم عن أي جمعية إنسانية تناضل وتعمل من أجل تحقيق اللاعنف ونشر السلام والدفاع عن حقوق الإنسان، إلخ. إن نظر الكنيسة إلى الأمور من "هناك" هو ما يسمح لنا أن نعطي مفهوم السلام ملء بعده الإنساني وملء بعده الكتابي الذي يشمل كيان الإنسان برمته.

٢٠٢ من "هناك" أيضا يمكننا القيام بـــ"القراءة التفريغية"[١] للكتاب المقدس وهي قراءة تكمل القراءة النموذجية (typologique) التي قام بها بعض آباء الكنيسة والتي غالبا ما تحجب البعد التاريخي للأحداث الكتابية. إن انطلاقة هذه "القراءة التفريغية" هو المسيح الذي "أفرغ ذاته آخذا صورة عبد صائرا في شبه الناس" (فيل. ٢، ٧). هذا المسيح الذي "أفرغ ذاته" من ألوهيته هو معلن الكلام الإلهي ومسكنه؛ بالتالي فهو سواء في حياته أو في موته المفسر الأوحد للكتاب المقدس ومرجعه. ومن هذا المنطلق لا نعود نقرأ أن الله هو مسبب آلام الشعب الكنعاني والأمم الأخرى المفتوحة بل نجده إلى جانب الضحية، كما نجده بجانب اسحق الذي لم يتردد أبوه ابراهيم بتقدمته محرقة لله. إن الرب (يهوه) لم يعلن عن نفسه باليد القوية والذراع الممدودة، بل في ضعف أولئك الذين سحقتهم جيوش رب الصباؤوت. فإسرائيل كان شعب الله ولكنه لم يكن جسد الرب (يهوه). إذ إن حقيقة جسد الرب هذه لم تكن قابلة للإعلان إلا بعد "إفراغ الذات" والمحبة المجانية التي قدمها يسوع. إذا كان لا بد أن يبلغ الرب كمال بشريته بالألم لكي يعرف كماله.

بدون هذه القراءة التفريغية للكتاب المقدس، ولاسيما العهد القديم، قد نواجه خطر الانزلاق في لاهوت يبرر بعض أعمال العنف. بدون هذه القراءة، قد لا نتبين وجه المسيح في كل مضطهد وفي كل ثائر وفي كل ضحية أيا كانت، بمعزل عن انتماءاتها القومية، العرقية، الوطنية، الدينية أو غيرها.

---

١- نسبةً إلى الـــ أي "إفراغ الذات"

٣٠٢ من "هناك" علينا أيضاً أن نقوم بقراءة نقديّة لتاريخ الكنيسة في الشرق كما في الغرب. ومن "هناك" علينا أن نتساءل كيف استطعنا أن نطوّر لاهوتاً عن "الحرب العادلة" (وهي الحرب التي ساعدت على تدمير بلد كامل وإبادة شعبه سواء في العراق أو في يوغسلافيا). كيف أمكننا أن ننشد في خدمة المديح أن والدة الإله هي سور الإمبراطورية البيزنطيّة (وما زلنا ننشد الترتيلة هذه اليوم حتى بعد زوال الإمبراطورية البيزنطية). كيف يمكننا أن نؤكّد أنّ الصليب هو قوّة الملوك والأباطرة؟ كيف يمكن أن يبارك بعضُ الأساقفة العربات المقاتلة المتوجّهة إلى الحرب، أو الجيوش والميليشيات التي تستعدّ للقتل؟ هل ثمة لاهوت "للجهاد" المسيحيّ في مقابل "الجهاد" الإسلاميّ؟ ومن ناحية أخرى كيف يمكننا أن نستفيد من ضعف كنيسة ما لكي نسلبها مؤمنيها؟ هل ثمّة خلط بين التبشير والاقتناص؟ الواقع أنه يعوزنا الكثير من الشجاعة لكي نجعل من لاهوتنا لاهوتاً ذا دلالة ومعنى، وقادراً على تقديم الأجوبة في عالم يحتاجنا كثيراً ولا يزال ينادينا بلا انقطاع.

## دور المسيحيين في ثقافة السلام. بعض المقترحات:

٣. إنّ اللاّهوت المسيحيّ الذي يعي ذاته ويعبّر عنها في الكنيسة إيقونة الملكوت والذي يفسّر الكتاب المقدّس في ضوء المسيح عبد يهوه، حمل الله المذبوح والقائم من الموت، هذا اللاّهوت الذي يتبنّى على الدوام موقفاً نقديّاً من ذاته ومن تاريخ الكنيسة بهدف تأوين بشارة سيّدها، لديه الكثير ليقوله إلى عالم اليوم، لا سيّما في ما يتعلّق بمسألة السلام والعدالة والحفاظ على الخليقة. إن لاهوتاً كهذا يمكنه أن يعبّر عن نفسه انطلاقاً من أربعة محاور أجدها معبّرة وهامّة لنا نحن المسيحيين لأنّها صدى لصلاتنا التي نتلوها قبل سرّ الاعتراف والتوبة، أي قبل عودتنا إلى الرب حيث نقول: "أيها الربّ إلهي اغفر لي كلّ خطيئة فعلتها بالقول أوبالفكر أو بالفعل". إن مساهمة المسيحيين من أجل بناء ثقافة السلام يجب أن تكون بالقول والفكر والفعل ويجب ألاّ تتغافل عن الأمور التي عليها القيام بها.

١٠٣ يجب على الكنائس أن تتّخذ دوماً بوضوح وبإجماع **مواقف لصالح** المستضعَفين في الأرض، والمضطهَدين والمقهورين والفقراء والضحايا والمهمّشين في مجتمعاتنا أنّى وُجدوا وكائناً من كانوا. عليها أيضاً أن **تشجب** علناً الأنظمة السياسيّة والاجتماعيّة التي تشجّع الظلم، وكلّ ميل قوميّ يمزج بين الإيمان والقوميّة أو العرق. كما يجب عليها باستمرار أن **تدين** كلّ أشكال الكره للأجانب وكلّ مظاهر التمييز العرقي عبر تذكير المؤمنين بالمبادئ البديهيّة الأساسيّة التي بشّر بها المسيح والموجودة بين أيدينا في الإنجيل.

٢٠٣ على صعيد الفكر، يجب على المسيحيين أن يكوّنوا منابر حوار من شأنها أن تساعدهم على فهم أنفسهم وفهم الآخرين في الوقت نفسه. وكما يقول سيادة المتروبوليت يوحنّا (زيزيولاس)، أسقف برغامس، فإنّ "الحوار مرحلة تتخطّى مجرّد التسامح. فالحوار يفترض أن نقبل الآخر الذي يختلف عنّا، ليس على أنّه موجود فقط –وهذا هو التسامح– بل على أنّه موجود كشخص لديه شيء ليقوله لي وعليَّ أن أسمعه بجدّيّة وأقارن بينه وبين قناعاتي الخاصّة وأتأمّل به على ضوء هذه القناعات"[٢]. لا يمكن أن يعيش المسيحيّون اليوم في مجتمعات مغلقة وأن يحجبوا أنظارهم عن رؤية التعدّديّات الدينيّة والعلمانيّة في العالم. فالدخول في حوار مع الآخرين (سواء مع الديانات أو التيّارات الفلسفيّة الأخرى) هو اليوم ضرورة لاهوتيّة. هذا النوع من الحوار يجب أن يكون بنّاءً وهو لا يكون بناءً إلاّ بقدر ما نبقى نحن أوفياء للحقيقة التي هي في المسيح، وذلك دون أن نحوّلها إلى حقيقة نسبيّة ودون أن  ندخل في مساومات فلسفيّة – دينيّة تؤدّي بنا إلى نوع من "ديانة تلفيقيّة". من هنا:

١٠٢٠٣ فإنّ حواراً دينيّاً مسيحيّاً – مسيحيّاً، داخليّاً أو مسكونيّاً، يفرض نفسه. وبعيداً عن تقليل دور الحوار الرسميّ بين الكنائس وأهميته، لا سيّما بين الكنيسة الكاثوليكيّة والكنيسة الأرثوذكسيّة، أو الحوار الجاري في إطار مجلس الكنائس العالمي، يبقى من الضروريّ توسيع دائرة هذا الحوار لكي يشمل شرائح أكبر من المسيحيين، في أطر غير رسميّة.

٢٠٢٠٣ إنّ ضرورة التبادل الأكاديميّ وقيام العلاقات الودّيّة بين معاهد اللاّهوت وكليّاته، هو أمر يصبّ أيضاً في تقوية الحوار بين الكنائس وترسيخه، ويسرّع بالتالي عمليّة التقارب بينها من أجل بلوغ الوحدة المنظورة والمرجوّة.

٣٠٢٠٣ يجب أن لا يغيب عن هذه الحلقات الحواريّة غير الرسمية بُعد العلاقات بين الأديان، أو حتّى البعد الإنساني. فالجدليّة القائمة بين ما هو "حاصل منذ الآن" وما "لم يحصل بعد" التي تعيشها الكنيسة تجعلها تعي هويتها التي تتخطّى حدودها القانونيّة. من هنا أنّها تسعى إلى تغيير هيئة العالم ليصبح بدوره كنيسة، غير أنها تبحث في الوقت نفسه عن وجه سيّدها البهيّ حيث هو موجود، وحيث يشاء هو أن يكون، وحيث يقودها أو يحملها الروح القدس إليه. بهذا المعنى، لا يعود من

---

٢_

http://www.balamand.edu.lb/theology

المستحيل أن ترى الكنيسة وجه سيّدها في الجمال الموجود في هذا العالم، وفي الموسيقى، ولَمَ لا في الديانات الأخرى.
هذه الحلقات الحواريّة بين الأديان عليها أن تهتمّ بالمسائل التي تتعلّق بالوجود الإنسانيّ وبالعلاقة بين الإنسان وخالقه. فالتقارب بينها لا يسعه إلاّ أن يخدم قضيّة السلام في العالم.

٣٠٣ يبقى أن التضامن بين المسيحيين وإخوانهم في الإنسانيّة هو أحد مقتضيات الإنجيل الملحّة. ويجب أن يُطبّق بمجانيّة "إفراغ الذات" الإنجيليّة. فكلّ عمل خير يهدف إلى تحويل الآخر عن انتمائه الكنسيّ الأصليّ لا يمكن اعتباره إلاّ شهادة تشوّه وجه الإنجيل.

٤٠٣ لقد ذكرت في المقدمة فئة من المسيحيين لا تهتمّ إلاّ بخلاص النفوس وأخرى لا تتدخّل في المسائل التي تعتبرها دنيويّة. ألا يمكن اعتبار هذه المسائل بمثابة خطيئة التغافل؟ هل يمكننا أن نتصوّر وجود مسيحيين لا يتحسّسون لآلام العالم ومظالمه؟ هل من دين أو تيّار فلسفيّ يمكنه أن يترفّع عن شؤون العالم؟ في الواقع، لا بدّ أن يكون لكلٍّ دين مقاربته الخاصّة للعالم وللتاريخ، لكن لا يمكنه احتقار العالم والتاريخ بأيٍّ من الأحوال. أما المسيحيّة من جهتها –مع أنّها لا تعتبر نفسها ديانة بالمعنى السوسيولوجي للكلمة– فعندما تتطلّع إلى العالم من "هناك" لتفسّر علامات الأزمنة فإنّها تفعل ذلك وهي لا تزال في العالم. فالكنيسة تهتمّ لهذه المسائل بدون أن "تبلّل" يديها؛ والمسيحية تهتمّ بشؤون العالم دون أن تتماهى معه. الكنيسة موجودة في العالم ولكنّها في الوقت نفسه تعكس فيه حياة الملكوت.

**ميشيل نصير**